Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

طريق الحج الصحراوي المغاربي من خلال رحلة ابن مليح السراج

The Maghrebian Desert Pilgrimage Passage Through Ibn Malih al-Sarraj's Journey

1،كعبوش بومدين Kaabouch Boumediene. 2.بن مويزة إبراهيم Benmouiza Brahim
جامعة عمار ثليجي الأغواط. جامعة الجزائر 2 . University Algiers 2
madine2022@gmail.com brahimalg3000@gmail.com
المؤلف المرسل : كعبوش بومدين madine2022@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-11-18 تاريخ القبول : 2020-01-03

الملخص:

تكمن أهمية هذه الرحلة في أنها تزودنا بأخبار وتذكر لنا أسماء وأماكن وأعلام، كما تبرز لنا مسارات وطرق كانت تسلكها القوافل ذهابا وإيابا من المغرب إلى المشرق، وهنا سنتطرق إلى طريق الحج الصحراوي من خلال رحلة ابن مليح القيسي، حيث حكى لنا بالتفصيل عن هذا الطريق الصحراوي انطلاقا من مراكش ووصولا إلى الحجاز ذهابا ثم التطرق إلى طريق العودة.

الكلمات المفتاحية: طريق الحج الصحراوي، المغارب، رحلة، ابن مليح القيسي، المغرب، مكة، المدينة المنورة.

Summary:

The importance of this trip is that they give us news and remind us of names, places and famous people, as well as the paths and routes that were used by the convoys back and forth from Islamic Maghreb to the Islamic Orient, and here we will go to the desert pilgrimage passage through Ibn Malih al-Qaisi's journey, Where he told us in details about this desert road from Marrakesh to the Hijaz and back to the return road.

Key words:

Desert pilgrimage passage, Maghrebs, Ibn Malih al-Qaisi, Morocco, Mecca, Medina Monawara.

مقدمة:

لقد توالت رحلات الحج على بلاد الحجاز منذ أن استقر أمر الإسلام في المغرب الإسلامي، وذلك وقوفا عند قوله تعالى: **{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}**[1]، مما أدى إلى خلق روابط حضارية بين بلاد المغرب والمشرق الإسلامي عبر الرحلات الحجية، وقد كان لتدوين هذه الرحلات منذ الفترة الوسيطة دور بارز في تعريفنا بالظروف المحيطة بركب الحج والطرق المودية إلى الحجاز، مثل رحلة ابن جبير والعبدري والسبتي... الخ ، كما امتدت الرحلات الحجازية إلى غاية العصر الحديث لتصلنا أخبار رحلات المقري وبن أبي محلي والثعالبي وبن الفكون، و يحي الشاوي النائلي، والبوني وابن مليح السراج والعياشي وغيرهم، وهذه الرحلات أرخت لنا أحداثا وأوردت لنا أخبارا لم نكن لنعرف عنها شيء لولا أنهم كتبوها وحفظها الله إلى أن وصلت إلى أيدي المحققين المختصين.

كان الطريق المودي إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج طويلا وشاقا بالنظر إلى وسائل النقل التي كانت متوفرة في تلك الفترة وذلك بالاعتماد على السفن بحرا والرواحل برا، فالطريق كانت تستغرق شهورا عديدة يتم فيها قطع أقاليم وبلدان تتميز باختلاف الأنظمة السياسية الحاكمة مع تمتعها بالوحدة الدينية والحضارية الجامعة، ورغم الصعاب وما كان يقاسيه المسلمون

المغاربة في تلك الفترة من أهوال البحر والبر إلا أنهم كانوا يتجشمون صعاب طريق الحج ابتغاء للأجر والمغفرة والثواب الجزيل من المولى الجليل، متبعين طرق الحج والتجارة القديمة.

وقد عرف المغاربة مجموعة من الطرق البرية الرئيسية منها والثانوية، ولعل أصعب طريق بري هو الطريق الصحراوي الذي يمر بالصحراء المغاربية الشاسعة وهي تمثل جزءا هاما من الصحراء الكبرى ، وتتميز بأخطارها المتمثلة في نقص الحواضر والتجمعات السكانية والحرارة الشديدة وقلة الموارد المائية، والحيوانات المتوحشة والزواحف والعواصف الرملية وقطاع الطرق، كما يهدد السيارة فيها خطر الضياع في مسالكها ودروبها، وهي أخطار طبيعية وبشرية تحيط بهم، لكن التعلق بهذه الشعيرة والركن هو ما يدفع المغاربة إلى أن يسلكوا هذا الطريق رغم الصعاب، ومن بين الرحلات المكتوبة التي وصفت لنا الطريق الصحراوي لركب الحج المغربي هي رحلة ابن مليح القسي.

الإشكالية المطروحة: ما هي أهم مميزات طريق الحج الصحراوي من خلال رحلة ابن مليح السراج القيسي ؟ وما هي سبله ومحطاته؟ وما هي المخاطر والصعوبات التي تحفه؟

1- أهمية كتب الرحلات في تدوين تاريخ الحجاز:

تعتبر كتب الرحلات[2] مصدرا من المصادر الأساسية لكتابة التاريخ، وذلك نظرا لما تكتسيه من أهمية تاريخية وأدبية وجغرافية، حيث تعد الرحلات جهدا ذاتيا واجتهادا شخصيا للرحالة قائما على تأملاتهم وآرائهم وأحاسيسهم التي صاغوها بأسلوبهم الخاص نثرا وشعر، ومن هنا يبرز دور هذه النصوص والموضوعات في كتابة التاريخ ، حيث أن الرحلات كانت لأسباب متعددة منها الدينية والعلمية والسفارية والاستطلاعية.[3]

وتعد الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة للمظاهر الحضارية على امتداد الأزمنة المتتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، لأنها تستخدم الجغرافيا وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، لذلك فهي وثائق تقدم لنا صورة حية عن المجتمع الذي تتطرق إليه.[4]

وبهذا تعد الرحلة حلقة رائعة من تلك المنظومة الإلهية التي تشمل الكون وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف الذات الإنسانية، واختراق حاجز لمسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة على الأكوان المختلفة، وليس من شك أن الإنسان وهو يسعى إلى العمل استجابة للحياة فإنما يعمل لصالحها ويؤكد علو شأنها وينتصر لكل ما خلق الله من الخير والجمال.[5]

ومن بين هذه الرحلات يبرز فن الرحلة الحجازية المغربية، حيث كانت لها سمات بارزة في فن الرحلة العربية ما ميزها عن بقية أنواع الرحلة، وهو ما يمكن أن نلخصه فيما يلي:

- اعتماد الرحالة المغاربة في تدوين رحلاتهم على تجاربهم الخاصة، بالاضافة إلى الاعتماد على روايات الآخرين من الرحالة السابقين.
- تنوع دوافع الرحلة إلى المشرق العثماني بين أداء فريضة الحج وطلب العلم والسفارة، كما قد تتداخل هذه الدوافع في بعض الأحيان.
- يشكل الوصف القاسم المشترك بين الرحلات المغربية الحديثة والقديمة أيضا، ومن ذلك الوصف الجغرافي والعمراني للطرق والمدن والقرى والأحوال الجوية والمساجد والمباني والقلاع والحصون وأهوال البحر وطبائع الشعوب.[6]
- الحضور القوي للذات أثناء تدوين الرحلة، فالرحالة المغاربة يجعلون من أنفسهم عناصر مركزية في الرحلة ويعبرون عن أحاسيسهم أمام كل تجربة خاصة عند مصادفة الخطر، وعند الفرح أو الحزن.
- الاهتمام بقضايا الفقه والاختلاف المذهبي وموقف الفقهاء والبدع التي يصادفونها أثناء الطريق، وهو ما عرف بفقه النوازل.[7]
- الاهتمام بالقضايا المعاصرة للرحالة سواء كانت السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو الدينية، مثل بعض الحروب والثورات والعادات والتقاليد الاجتماعية ومظاهر

الاحتفالات، والتجارة والعلماء المعاصرين والمساجد، والإجازة التي تعد مظهرا حضاريا متميزا.

- الاستشهاد بالقرآن والسنة النبوية والأدعية المأثورة والأذكار والنظم والشعر، وهو ما يبين مستوى الرحالة وثقافته وسعة اطلاعه.
- الالتزام بالأسلوب الواقعي في وصف وتدوين الأحداث، والعودة لبعض المؤلفات والإشارة إليها أو إلى رحالة سابقين له، ما جعل من الرحلات المغربية تتميز بالصدق والأمانة والدقة.[8]

2- **الرحلات الحجازية المغربية في القرن 11ه/17م:**

لقد توالت الرحلات المغربية للحجاز منذ العصور الوسطى وتواصلت في الفترة الحديثة، ومن بين الرحلات المغربية في القرن الحادي عشر نذكر:

- **المقري التلمساني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد:** (986 ه/1578م-1041ه/1631م) أصله من تلمسان، محدث ومؤرخ وأديب، دفين القاهرة، رحل إلى الحجاز وبلاد الشام، ألف رحلته المسماة: **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**.[9]
- **ابن أبي محلي، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي محلي الفيلالي العباسي:** (ت 1022 ه/1613م)، الذي ألف رحلة لها ثلاثة عناوين هي: "الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت" أو "عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج"أو " الرسالة".[10]
- **الثعالبي، أبو المهدي عيسى بن محمد:** (1020_1080ه/1611_1669م) فقيه محدث تعلم بالجزائر وتونس رحل إلى المشرق، أخذ عن بعض علماء مصر حج ثم عاد إلى مصر ومنها إلى مكة حيث توفي، رحلته مفقودة.[11]
- **ابن الفكون، عبد الكريم:** (988ه/1580م_1083ه/1663م) الملقب بشيخ الاسلام أديب ومحدث وفقيه ، رحل إلى المشرق حيث قاد ركب الحج الجزائري، مات بقسنطينة بالجزائر.[12]
- **النائلي، يحي الشاوي** (1030ه/1621م - 1096ه/1685م) عالم نحوي مفسر فقيه، ولد ونشأ وتعلم بالجزائر، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة للتدريس ثم رحل إلى الأستانة عبر الشام ثم عاد إلى مصر/ حج سنة 1096ه مات على ظهر السفينة المقلة له، دفن بالقاهرة.[13]
- **البوني، أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد ساسي:** (1063ه-1139ه) عالم فقيه محدث متصوف، ينتسب إلى أسرة عريقة في العلم والتصوف، ولد بعنابة شرق الجزائر ، رحل إلى الحجاز وألف رحلته "**الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**" وهي مفقودة.[14]
- **ابن مليح، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج** الذي دامت رحلته من 1040ه/ 1630م – 1042ه/ 1633م، وقد عنونها "أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب".[15] وهي الرحلة المقصودة من دراستنا.
- **الحجري ، أبو العباس أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم ابن الشيخ الحجري الأندلسي الشهير بأفوقاي** الذي قام برحلته سنة 1046ه/ 1636م وهي الرحلة الحجازية الضائعة " رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب"[16]
- **العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر** (ت 1090ه/1679م) وقد قام بعدة رحلات في سنوات 1059ه-1063ه-1072ه. وأشهر رحلاته المسماة بـ "ماء الموائد".[17]

3- **التعريف بصاحب الرحلة:**

هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي الشهير بالسراج والملقب بابن المليح المراكشي،[18] وبالرغم من ذكر اسمه إلا أنه من الأعلام مؤلفين المجهولين، وقد ذهب الأستاذ محمد

الفاسي محقق مخطوط الرحلة أنه عربي، ورجح المحقق ذكر ابن الزيات في كتابه "التشوف إلى رجال التصوف" أنه ينتسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد القيسي من أهل مراكش في القرن 6هـ، وذكر المحقق أيضا قيسيا نزح إلى مراكش في القرن 6هـ وهو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن الطاهر القيسي المتوفى سنة 574هـ حيث رجح أنه مؤسس هذه الأسرة في مراكش.[19]

وقد كان ابن مليح صوفي النزعة وهي الصفة التي تمتاز بها الثقافة الإسلامية في العصر السعدي، حيث يبتدئ رحلته بزيارة مقابر الأولياء والصلحين الذين تعج بهم مدينة أغمات وريكة، وقد أورد عن كل واحد منهم مختصرا بالعودة إلى كتاب التشوف[20]، كما تكشف نصوص الرحلة عن أن ابن المليح كان شيخا فقيها وشاعرا ذو تكوين وثقافة قامتين على الدين والعلوم الشرعية والتصوف، كما يدل على ذلك أسلوبه المنمق وما يورده من الأحاديث النبوية والأبيات الشعرية واطلاعه على كثير من الأخبار وتراجم الرجال.[21]

كما دل على ثقافته ومستواه أسماء الشيوخ الذين جالسهم وتكون وتربى على أيديهم، وهؤلاء بدون شك هم صانعوا العلم والثقافة في هذه الفترة من تاريخ الدولة السعدية وصانعوا إديولوجيتها أيضا وذلك من خلال ارتباطها **بالزاوية الجزولية**، وذلك ما مكن التصوف من الانتشار بشكل واسع خصوصا في الجنوب المغربي، وهذا ما يظهر تأثر القيسي بتلك البيئة الثقافية التي كانت تأسس على التصوف، كما يفسر ذلك الأسلوب الديني والروحي الذي كتب به الرحلة،[22] فقد حرص على زيارة الزوايا والصالحين منذ خروجه من مراكش حيث قصد أغمات وريكة بنية التبرك فقال:" وشدوا الأزر للرحلة إلى أغمات وريكة قصد التبرك بأوليائها ... لزيارة من هناك من السادات الأعيان..."[23] ويستشهد كثيرا في ذكر الصالحين بالأحاديث والقول المأثور في عدة مواقع.

4- التعريف برحلة ابن أبي مليح القيسي السراج:

تعد رحلة القيسي من الرحلات ذات الفوائد الكثيرة والجمة الغنية بالاستشهاد بالقرآن والسنة والأحاديث النبوية والأشعار، حيث أنه التزم في أولها بكتابة بخطبة البداية في قولة:" الحمد لله الذي عقد أزمة أزرار الثوب بحكمة واتفاق، وخلق الخلق وقسم بينهم الأرزاق، وفرض الحج على المستطيع لاغير، لطفا منه واشتياق، وقدر الأرزاق للكبير والصغير، والرفيع والوضيع، لا عن وجوب ولااستحقاق...وزفت لروضة الحجاز عرائس النياق، وتزاحمت على ورود الصفا وفود الآفاق"[24]، ثم يعرف بنفسه داعيا لها بالسرور والابتهاج.

ولقد صرح القيسي عن سبب رحلته هذه فقال:" ... لما ثار في قلبي الغرام لبلد الله الحرام وهاج علي الشوق الساكن لأفضل البقاع والأكامن، وكيف لايهيج غرامي، ويثور علي هيامي، لبلد سماه الله البلد الأمين، وأوجب حجه على جميع المسلمين... فقال تعالى(ومن أصدق من الله قيلا): ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾[25]، وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه...[26]، وهنا دليل على أن القيسي يحمل شوقا لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، التي صال وجال في وصفها ووصف أفضالها وعدد أجر لعبادة فيها مستندا للآيات والأحاديث الصحاح.

وقد فكر القيسي في تدوين هذه الرحلة وضبط تنقلاته من بدايتها إلى نهايتها وجميع مراحلها واصفا الطريق والمدن والمداشر وموارد المياه ومحل إقامة ركب الحج ومسيره وذلك بالتفصيل، فتحدث عن فكره كتابه هذا في مقدمة المؤلف قائلا:" فلما زعزعتني رياح الاشتياق، وطار القلب بأجنحة الأشواق، إلى مشاهدة تلك الآفاق، ومن الله علي بالمسير، على مراكب التيسير، إلى ذلك الجناب الخطير، وساعدت المقادير، في الموارد والمصادر، محفوفا في الذهاب والإياب بسياج الكرامة، ومكتوفا بسرادق العافية والسلامة، صرفت همتي وفكرتي إلى ضبط رحلتي ونقلتي، وذكر مباديها ومنتهاها، بالنص على عدد المراحل، وأسماء المنازل والمناهل، فألفت هذه الرحلة وسميتها: **أنس الساري والسارب** من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب، سيد الأعاجم والأعارب، صلى الله عليه وسلم نسأل الله الهداية والتوفيق، إلى أحسن طريق..."[27].

وبعد التقديم قدم القيسي نصائح وجب الاتصاف بها لمن أراد أداء فريضة الحج، وبعد ذلك أرخ القيسي ليوم خروج الركب المراكشي في أخر شهر صفر من عام1040هـ الموافق ل07 أكتوبر 1630م، في ركب كان قائده محمد بن عبد العزيز بن محمد ابن أبي عمرو فقال:" فكان مبدأ الانفصال عن حضرة مراكش أقصى حواضر المغرب أدامها الله للإسلام، وصانها بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام، في آخر صفر أحد شهور الأربعين وألف عام، مع

الشيخ الأفضل...سيدي محمد بن الحاج الأبر، نجل الولي الأكبر سيدي عبد العزيز بن سيدي محمد ابن عمرو..."[28]

5- مسار الرحلة:

أ- إقليم مراكش:

كان خروج ركب الحج من **مراكش**[29] حيث قال القيسي:" فكان مبدأ الانفصال عن حضرة مراكش أقصى حواضر المغرب أدامها الله للإسلام..."، وقد كان ذلك في يوم الإثنين آخر شهر صفر من عام 1040هـ الموافق لـ 07 أكتوبر 1630م،[30] وذلك بصحبة قائد الركب المراكشي محمد بن الحاج الأبر نجل عبد العزيز بن محمد بن أبي عمرو، وتوجهوا نحو "**أغمات أوريكة**"[31] وهي عادة الركبان المغربية في الخروج إليها لزيارة من هناك من الصالحين والتبرك بهم وحتى بمن ماتوا منهم، حيث ذكر المؤلف أسماء قبور من زارهم الركب أمثال قبر محمد بن سعدون القيرواني، وأبو عبد الله التونسي، وأبو محمد الخزرجي، وعبد الجليل بن ويحلان، وأحمد بن عبد الرحمن الهواري، وأبو يعقوب بن مومن المرادي، وأبو محمد عبد العزيز الياغي، وأبو وكيل ميمون الوريكي، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن الهواري، وأبو يحي أبو بكر الصنهاجي، وأبو علي حسين بن عبد الله الأندلسي، وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بالقرميد، وقد دام مقام الركب هناك يومين.[32]

ب- إقليم بلاد درعة :

وتوالت المنازل والمداشر والقبائل التي نزل الركب بها دونما إبطاء أو تعطيل حتى دخلوا بلاد **ورزازات**[33]، حيث استقبلهم صاحب القصبة القايد أحمد الكبير وأقاموا بينهم يومين أيضا، وواصل الركب المسير إلى **بلاد درعة**[34] أين يمر وادي درعة على **مزكيطة** وقصبة الشيخ محمد بن ناصر الذي أكرم نزل الركب، ثم واصلوا السير **لتابرنوست** عندما نزلوا بزاوية سيدي موسى الموجودة بإقليم **زاكورة**[35] حيث كان يوم سوق،[36] واستمر المسير في ضيافة الزوايا والمشايخ على ضفة وادي درعة، ثم قطعوا الوعر في **خنق لكتاوة** بمساعدة أهل **تامكروت** خوفا من قطاع الطرق إلى أن نزلوا عند بني حيون **بلكتاوة** حيث أقام الركب ثمانية أيام أين كان انتظار رسول الملك،[37] ثم استمرت القافلة في المسير تهيئا لدخول الصحراء.

ج- مجال الصحراء الجزائرية:

تأهب الركب الحجازي لدخول الصحراء واسعة الأرجاء، بداية من موضع يقال له **المنكوب** للتزود بالماء حيث أنه شعب كثير آبار، تحسبا لأرض القفار التي سيسلكها في **مرحلتين**[38]، وفي هذه الطريق تتبع الموارد المائية مثل مورد **الدورة** الذي ينحدر إليه وادي **تافيلالت**[39]، ثم لبئر يعرف بـ**أبي العظام** أين التقوا بالقائد جوهر مملوك السلطان الوليد بن زيدان بن أحمد النصور، وفيه إشارة إلى امتداد المجال السياسي للدولة السعدية إلى هذه المنطقة .[40]

وبعد أن قطع الركب مرحلتين من الصحراء وصل بلاد **تابلبالت**[41] حيث وصفها بالمدشر في وسط صحراء تحيط بها جبال من الرمال، وهي واحة غنية كثيرة الخصب والماء والكلأ، ثم أوغلوا في الصحراء حيث وجدوا آبار قصار تشكل موردا للغادي والرائح، وبعد ذلك صحراء بعدها وصلوا إلى **عكّلة محمد** وهي مورد ماء ومكان خصب، ثم مرحلتان صحراء تاه فيها الركب مقدار ضحوة من نهار لكنه عاد إلى جادة الطريق حيث نزلو على بئر تعرف بـ**المعيتكَ** بعد أن شارف الركب على الهلاك، ثم ساروا إلى أن وصلو موردا آخر يعرف بـ**السيفر** يحوي ثلاث آبار.[42]

واستمر مسير الركب الحجازي إلى أن دخل **بلاد توات**[43]، وأوله مدشر يدعى **بني أركان** وهي واحة طاب لهم المقام فيها سبعة عشر يوما عند أناس لم يذكرهم إلا بخير تحت إمرة رجل يقال له الشيخ عافة، وقد التقوا فيها بباشا السودان القائد **علي بن عبد القادر الشرقي**، حيث شد معهم الرحال إلى بيت الله الحرام مع من كان معه من أعلام السودان الغربي، وواصلوا المسير إلى أن دخلوا مدشر **الدعامشة** و بعدها مدشر **كَسطن** حيث حاد الركب عن جادة الطريق لأن أهل كَسطن أرادوا معهم الحج، ، ثم مروا بأرض بعل قبل الوصول إلى مدشر **أوكَروت** حيث أقاموا يومين تهيؤا للخروج من بلاد توات والدخول إلى صحراء **أزكَر**.[44]

تعتبر صحراء **أزكَر** من أطول مراحل الرحلة وأخطرها حيث أنها تقطع في خمسين يوم بحلها وترحالها، حيث نزلوا فيها بعد ستة أيام بواد يعرف بـ**أفلساس** وأقاموا به يوما كاملا، ثم استأنفوا المسير في مراحل كبيرة بين صحراء ذات عروق وموارد مائية وآبار وأودية ذات أشجار وكلأ، نذكرها بالترتيب وهي:

العوينات ثم **البيض عكّلة** ثم بئر **سيدي موسى بن معروف**، ثم مورد **واد جان** -الذي إلتقوا به قبائل من التوارك تعاطوا معهم البيع والشراء-، ثم وادي **تاخمالت**، ثم مورد **الغربان** بعده مورد **سردلس**، وفي **غابة الطلح** التقى الركب المراكشي مع الركب المغربي الذي كان يقوده محمد الحفيان.[45]

د - بلاد فزان:

بعد المراحل الصعبة التي مر بها الركب في الصحراء الجزائرية دخل الركب إلى إقليم **فزان**، واتصل بهم أميره حيث سار بهم إلى **قصر جرمة**، ثم تنقلوا إلى قصبة السلطان محمد بن جميل أمير **مرزك** وأقاموا بها ثمانية عشر يوما، وبعد ارتحالهم كان النزول بـ**قصر تراغن** ثم مروا إلى **زويلة** ومنها إلى **قصر تمسة** وهو أعلى قصور فزان وآخرها، بعدها **بلاد الفقهاء** الواقعة بين جبلين، وتوجه الركب في المسير نحو **بلاد وجلة** حيث استقروا بها سبعة أيام رغم غياب أميرها الذي كان بإقليم برقة، وانتقلوا بعد ذلك إلى **جراجر** ثم إلى مورد ماء يسمى **منهل** وصف القيسي أنه ليس لمائه نظير، ثم ساروا مسافة خمس مراحل في منطقة كثبان رملية تسمى **الغرود**، ومنها إلى مورد يحوي بئرا واحدا يسمى **الطرفاوي**، ومنها إلى مورد آخر يسمى بـ**علاوة**، وآخر يسمى **الحريدة** ومنه إلى مورد يسمى **الكَيكَب**، ومنه إلى مورد يسمى **شياطة**، ثم ساروا مسافة مرحلة في صحراء وسهب بين جبلين يحويان كهوفا ودورا منحوتة، أورد مؤلفنا قولا بأنها لقوم عاد وقد ساروا فيها أكثر من نصف يوم لتنتهي هذه المرحلة بأرض تحوي أحجارا وحصى صغار في حجم العملة المعدنية المسماة الريال.[46]

هـ - الصحراء المصرية ووادي النيل:

وقد نزل الركب بواحة **سيوة** وقد وصفها المؤلف بأنها مدشر عظيم على ربوة ترتفع منازلها فوق بعضها البعض وهي كثيرة الأشجار والنخيل والعيون، وفيها عين جارية يستسقي منها الناس لزروعهم ويعتقد أنها عين النبي صالح عليه السلام، وقد شبه المؤلف واحة سيوة بمراكش، وذكر أن أهلها لم يقدموا أي ضيافة للركب رغم حلوله ثلاثة أيام بينهم، ثم رحلوا عنها إلى **المرزكَ** ومنه إلى موضع : تحت ثنية وهي قفار لا ماء فيها ولا مرعي ، ليدخل الركب إلى واحة صغيرة سماها: مدشر **أم الصغير** ووافى ذلك عيد الفطر حيث أقام الركب يوما ليترحل عنه إلى صحراء كثيرة الحجارة طولها ثلاث مراحل ليدخل إلى أرض سبخة ماؤها مالح وأرضها تغوص بها أخفاف الإبل تسمى **بحر ثمود**، وهنا تبدأ مغامرة كادت تودي بالركب إلى الهلاك المحتم، حيث تاه دليل الركب عن مورد يسمى **أبو الغراتكَ**[47]، وهبت ريح حارة واشتد العطش وهلك من الركب ثلاثة عشرشخصا، وبات الركب في كرب عظيم لولا لطف الله بهم، حيث أن نفرا ساروا للبحث عن الماء فوجدوا آثار بئر تدعى **الشكّة** جهروها وأخرجوا الماء وحملوه في القرب إلى أهل المحلة حيث استبشروا به وحمدوا الله على ما هم عليه، وتوجهوا للمورد ذاته ريثما يجدوا طريق القوافل المعهود، وبعد أن اهتدوا إلى الطريق الصواب المار على مورد **أبو الغرانكَ**، حيث سقيت الرواحل وملئت القرب وسار الركب ثلاثة مراحل إلى أن نزلوا بمورد يقال له **المغرة** على بركة ماء منقطعة من البحر، وببعد ثلاثة مراحل حلوا بقرية تسمى **المنشأة** على ضفاف نهر النيل، وأقاموا بها ثلاثة أيام حيث اشتريت رواحل مستراحة.[48]

وقد استقل الركب الزوارق للعبور إلى **القاهرة** حيث دخلوها ضحوة يوم الجمعة الثالث عشر من شوال لعام إحدى وأربعين وألف، وقد أعجب ابن مليح القيسي بهذا الحاضرة التي تربط المشرق الإسلامي بالمغرب ووصف مناراتها العلمية وأقطابها ومزاراتها من مساجد وأولياء وحتى الأهرامات الفرعونية، وقد دام مقامهم بالقاهرة نحو أربع وعشرين يوما ثم تأهب الموكب للمسير خارجا من القاهرة يوم السابع والعرين من شوال من نفس السنة واتفقوا على الاجتماع عند **البركة**، حيث ولى أمير الركب المغربي القيادة للشيخ **أبي الحسن البقاتي**، وجد المسير إلى الحجاز حيث مروا بـ**الدار الحمراء**.[49]

و- سيناء وبلاد الحجاز:

وكان الدخول إلى سيناء من **عجرود فوادي الرمل** ثم لـ**منزل بعل فوادي الخروبة**، ثم لـ**قصبة النخيل** وبعدها لـ**بئر العلاية** ومن ثم **سطح العقبة** ثم **سطح المعيز** ثم **لأم العظام**، بعدها مقابر سيدنا شعيب عليه السلام، ثم لمورد يعرف **بعيون القصب** ومن ثم لـ**مورد المويلح** وبعده **شق العجوز** و**قصبة الأوم** و**بئر عنتر** و**قصبة الوجه**، ثم لموضع **بين الدركين**، بعدها ماء **الحورة** ثم العقبة السوداء وماء **نبط** حيث جاوروا **المدينة**

المشرفة وظهرت لهم على يسار الطريق، وواصلوا المسير **لينبوع** ثم **لدار الوقدة** وهو موضع صحراء قريب من **بدر** التي مروا بها ليصلوا إلى **سبيل السلطان** وهو حصن فيه نوائل وسقاية وأحباس ماء، حتى وصلوا **رابغ** وهو ميقات أهل مصر والمغاربة حيث اغتسلوا وأخروا الإحرام إلى الجحفة، ثم انتقلوا **لخليص** مكان فيه عين جارية وبركة عظيمة، وبعدها **عقبة سكر** وهي موضع صحراء ثم لبئر **عسفان** ثم **لوادي الشريف**- كما يسمى **واد فاطمة**-، ثم إلى **سبيل الجوخي**، قبل الدخول إلى **مكة المكرمة**.[50]

لقد كان دخول مكة من **كداء** الثنية التي بأعلاها، ودخلوا المسجد الحرام من باب **بني شيبة** المعروف بباب السلام وأدوا المناسك العظام، ثم خرجوا من كداء وحلو عشاء **بوادي الشريف** للسقيا ثم انطلوا إلى بئر **عسفان** ثم **لقديد** ثم **لرابغ** ومنه في مرحلة صحراء إلى **بدر** ثم **الجديدة** ذات البساتين الغناء حيث تزودوا منها وما نزلوا إلى **بأبيار علي** رضي الله عنه القريب من **ذي الحليفة**، ثم الدخول إلى **المدينة المنورة** من الثنية، حيث دخلوها في الرابع من محرم اثنتين وأربعين وألف حيث استقبلهم أهلها ودخلوها سالمين فرحين وأدوا الزيارة إلى قبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وزاروا من كان معه من الصحابة بالإضافة إلى مزارات أخرى.[51]

ز- طريق العودة:

ثم جاء يوم الوداع الاثنين السابع من محرم من نفس السنة المذكورة، بعد إن انفصلوا عن الركب التونسي الذي ذهب معه كثير من الركب المراكشي، كما اختار قائد الركب محمد بن عيد العزيز بن سيدي محمد بن أبي عمرو الجوار في مدينة رسول الله عند ابن عمه أبا عبد الله محمد بن سيدي أحمد بن الحاج عبد الواحد بن أبي عمرو، وسار الركب إلى أن لحق بالركب التونسي ونزلت المحلة **بأبيار علي** رضي الله عنه، حيث سقوا الماء وتجمع الركب المغربي كله، وكان الانتقال إلى قبور الشهداء وبعدها **لليبوع** ثم **نبط** و**العقبة السوداء** و**الحورة** و**بئر الدركين**، ثم **لقصبة الوجه** و**بئر عنترة** و**للازم** و**شق العجوز** و**قصبة المويلح**، أين وجدوا أهل مصر في انتظارهم، وبعدها ساروا إلى **عيون القصب**، ثم **لأم العظام** و**مويه المعيز** ثم **العقبة الكبرى** أبن التقوا أهل غزة.[52]

ثم انتقلوا إلى **قصبة النخيل** ثم **لدار الحمرا** ثم **للبركة** حيث باتوا وطعموا، ثم دخلوا القاهرة يوم الجمعة الثاني من صفر للسنة المذكورة، وأقاموا بها خمسة وخمسين يوما، ثم ارتحلوا منها قاطعين النيل إلى **كرداسة** حيث بقوا فيها سبعة عشر يوما، وارتحلوا منها إلى أن وصلوا بلاد سيوة ثم إلى وجلة التي أقاموا بها سبعة أيام ثم تخلوا عن طريق الذهاب إلى مورد **أبي النائم** حيث انحرفوا لطريق **الهاروج** وهي أرض سوداء جرداء حرشاء وقليلة الماء، ثم إلى **الهاروج الأبيض** إلى أن وصلوا بلاد فزان حيث نزلو قصبة الأمير محمد بن جميل وأقاموا عنده سبعة عشر يوما.[53]

واستمر المسير في **صحراء تديكلت** إلى أن بلغوا وادي **أرسم الليل** وتركوا طريق الذهاب يمنةً لشدة حروشتها وجدبها وبعدها عن العمران، حيث سلكوا طريق تدكيلت أسفل بلاد توات، إلى أن بلغوا مدشرا يقال له **أن صالح** وواصلوا المسير إلى مدشر **افران** باتوا فيه ليلة ثم واصلوا المسير إلى خنكَ **وادي الساورة**، ثم قدموا تابلبالت وواصلوا منها المسير في الصحراء إلى أن وصلوا إقليم درعة حيث دخلوه يوم السبت الخامس من شوال ستة اثنتين وأربعين وألف الموافق للثالث عشر من أفريل 1633 [54]، واستمروا صاعدين مع الوادي إلى أن خرجوا في بلاد ورزازات ثم قدموا أهلهم في بلاد مراكش.[55]

6- الجغرافيا السياسية لمسار الرحلة:

لعل ارتباط الجغرافيا بالسياسة في العصر الحديث كانت أشد، ذلك أن المجال الجغرافي كان مطاطي الحدود يختلف من حكم دولة إلى أخرى، ومن سلطان إلى آخر حسب قوة دولته وامتداده الروحي في تلك المنطقة، وذلك ما لاحظناه في المغرب السعدي وتوسع نفوذه وحدوده الجغرافية ليمتد إلى أجزاء من الصحراء في السودان الغربي حيث أصبح تابعا له في عهد أحمد المنصور الذهبي،[56] كما أن المنصور ضم منطقة توات وتيكورارين بالقوة حيث وجه إليها جيشا بقيادة أحمد بن بركة وأحمد بن الحداد الغمري المعقلي، وبلغ الجيش إلى هذه الناحية بعد شهرين ونصف تقريبا، وتم إخضاع قبائلها من القوة بعد أ رفضت الاعتراف بسلطة المنصور سنة 989هـ/1591م،[57] لكن النفوذ السعدي تقلص في عصر الفوضى حيث انقسم المغرب وضعف.

فعندما هلك السلطان مولاي عبد الملك بن زيدان بويع أخوه مولاي الوليد بن زيدان في اليوم الذي توفي فيه أخوه وهو السادس من شعبان سنه أربعين وألف،[58] فلم يزل ملكه مقتصرا على ما كان لأخيه عبد الملك وأبيه زيدان بن أحمد المنصور من قبله ولم تتجاوز سلطته مراكش وأعمالها، وغصت الفتن بفاس حتى تعطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة، واقتسم المغرب في أيام أولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال الأندلس أيام ملوك طوائفها،[59] وقد قتل الوليد من أشراف بني عمه من قتل، كما سجن أخاه محمد الشيخ الأصغر خوفا من شقه عصا الطاعة عليه وانتزاع خاتم الملك من يده،[60] وهكذا فقد كان المغرب الأقصى يعيش حالة من الفوضى التي لم يتطرق لها مؤلف الرحلة بل أشار إلى مكان لقاء الركب مع مملوك السلطان اسمه جوهر في قصبة السلطان عند بئر يعرف بأبي العظام،[61] كما أنه وأعاد ذكره في موضع تسليم الهدية التي بعث بها السلطان الوليد فقال فيه: " دفع القائد جوهر الهدية العظيمة، والتحفة الجسيمة التي بعثها صحبته الامام الأعظم والملاذ الأعصم ومالك رقاب العرب والعجم، الذي شمخت به أنوف الاعتزاز، في جوائم المعالي وشدخت به مقانب الأعداء فأصبحت ناكسة الرؤوس لصدور العوالي، مولانا السلطان ابن السلطان ابن السلطان مولانا الوليد ابن مولانا زيدان ابن مولانا أحمد المنصور ابن مولانا المهدي محمد الشيخ الشريف الحسني رحمهم الله وأسكنهم فراديس الجنان.[62]

ثم إن المجال الذي اخترقته قافلة الحج هو الأرض التي كانت يوما قد أخضعت بالقوة في عهد أحمد المنصور الذهبي كما أشرنا إلى ذلك، وواصلت المسير في صحراء الجزائر أين كان الحكم العثماني حديث النشأة والاستقرار في شمالها، وهي مراكز سيتم التطرق إليها لاحقا حيث أن المؤلف لم يتطرق إلى وجود قوى محلية تحكم الصحراء الجزائرية وصولا إلى إقليم فزان.

وأما إقليم فزان فقد كان خاضعا للسلطان محمد بن جميل من أسرة بن محمد حيث رحب بالركب الحجازي واستقبلهم أيما استقبال وأقاموا عنده خمسة عشر يوما بأيامها ولياليها آمنين وزادهم ثلاثا لما للضيف من إقامة، وقد وصف القيسي حلم الأمير وعدله وصرامته حتى أنه "...أمر بمناد ينادي من ضيع لمغربي خروبة[63] قطعت يده، ومن ضيع له مثقالا قطع رأسه،وأن الأسعار هي كذا وكذا، ومن زاد أو استزاد فلا يلومن إلا نفسه..."[64]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن طرابلس الغرب كانت تشهد اضطرابات سياسية بعد إعدام صقر داي وبعده مصطفى الشريف 1612-1630م، وهو الأمر نفسه مع رمضان داي الذي أنتخب سنة1631م حيث أنه كان خاملا وكسولا لا يفلح في النهوض بمهماته فكثرت الاضطرابات في عهده وبلغ الخراب الاقتصادي حدودا مفجعة[65]، لكن محمد صاقزلي الذي انتخب سنة 1633م حسن العلاقات مع إقليم فزان مع أسرة بن محمد نظرا لما تكتسيه المنطقة من أهمية إستراتيجية في ربط إفريقيا الوسطى بطرابلس الغرب وما لهذا الطريق من فائدة تذكر، فعقد صلحا مع أسرة بن محمد نتج عنه استقرار الأمن هناك.[66]

ومن ثم عرج القيسي على بلاد وجلة التي غاب أميرها أيام قدومهم عليها حيث أن الأمير توجه إلى إقليم برقة ، فأقاموا بها سبعة أيام، دون تفصيل في شأنها السياسي، لكن الأمر فيها كان غير مستقر نظرا لأن السكان ثاروا في وجه الضرائب التي تجبى بالقوة من طرف السلطة العثمانية، وبقوا على هذا الحال حتى أخمدت ثورة أحمد بن عبد الهادي والسكان المحليين في سنة 1639م وفرضت ضرائب باهظة عليهم.[67]

كما أن القيسي عرج واستفاض في الحديث عن القاهرة والحكم العثماني فيها، حيث ذكر أمير الحج الذي كان قد تولى الإمارة في تلك السنة وهو الأمير رضوان بك الفقاري حيث شغل هذا المنصب مابين 1040هـ-1066هـ/1630م-1656م،[68] وقد روى القيسي ما حدث من شق لعصا الطاعة والثورة على العثمانيين في اليمن، وما قام به أمير مصر لحماية البيت ونصرته ودفع المهاجم عليه ومقاتلته ومن معه، وذكر إمارة الحج بقيادة أميرها رضوان بك الفقاري فقال: "وأخذ الناس في الاحتفال والاستعداد، وجمع الحشود والأجناد، فخرج من القواد خمسة مع كل قائد ألف رجل من الجند الأتراك... هذا وزيادة أمير الركب رضوان عليهم خارج في زي عظيم، واحتفال جسيم برايات تخفق

وعلامات تشرق وخيول جياد ورجال كالآساد، قد ملؤوا السهول والأوعار كأنه السيل إذا سال أم البحر إذا مال..."[69].

أما بالنسبة إلى الحجاز وهي آخر محطات الركب الحجازي ومنهاه ، فقد دخلت تحت لواء الدولة العثمانية في جمادى الأولى عام923هـ/ماي 1517م بعد سقوط الحكم المملوكي في مصر ، حيث وجد الشريف بركات أن من الحكمة إلحاق الحجاز بالدولة العثمانية بطريقة سلمية نظرا لحاجته لمساندة الدولة الإسلامية الكبرى لمواجهة الخطر البرتغالي الذي كان يهدد السواحل، ولم يكن خضوع الحجاز للسيادة العثمانية يعني تغيير نظام الشرافة[70] المتبع في تلك الأقاليم، بل كان يضمن استمرار استفادة الحجاز مما كان يحصل عليه من مصر في العهود السابقة خاصة في العهد المملوكي، ومن ذلك ريع الأوقاف المرصودة في مصر على الحرمين الشريفين وعلى فقراء مكة، والمخصصات العينية التي كانت ترسل إلى مكة، بالإضافة إلى كسوة الكعبة، كما كان انضمام الشريف بركات إلى الدولة العثمانية يعني تدعيم مركزه في شرافة مكة تجاه منافسيه وخصومه من الأشراف، وهي كلها أسباب أدت بالشريف بركات إلى الترحيب بالانضمام إلى الحكم العثماني.[71]

وقد أشار القيسي إلى أن الجيش الذي خرج من القاهرة متوجها إلى الحجاز قد بقي في مكة بعد موسم الحج نظرا للأحداث التي تشهدها المنطقة، حيث أنه في عام 1038هـ/1628م حدث اختلال في أحوال اليمن[72] ولم يخرج المحمل اليمني إلى مكة[73] وما تلاها من أحداث بعد تولي رضوان بك الفقاري، وقد جاء ذلك في قوله: " ثم خرجنا قاصدين المدينة المشرفة مع الركب المغربي، وتخلف من عداه من سائر الركبان مع الجيش المتقدم الذكر، لما هم بصدده من قتال العدو الباغي، على الحرم الشريف...".[74]

خاتمة:

من خلال قراءة رحلة ابن مليح القيسي الموسومة بـ "أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب"نستطيع الخروج بعدة استنتاجات عن طريق الحج الصحراوي وأهميته بالنسبة للمغربة والأفارقة عموما ونلخصها فيما يلي:

- يعتبر طريق الحج الصحراوي مسلكا للقوافل التي تجوب الصحراء، وحلقة ربط بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وذلك ما أشار إليه القيسي في عدة مواضع حيث تحدث عن التقائهم بقوافل مختلفة والتعامل معها في التجارة.
- تحيط بهذا الطريق غوائل ومخاطر عديدة من بينها الحرارة الشديدة والعواصف الرملية ونقص الموارد المائية والآبار التي قد تسد بسبب الكثبان الرملية، مما يهدد مرتادي الطريق بالموت عطشا أو بسبب أشعة الشمس الحارقة، كما أن الركب مهدد بقطاع الطرق الذين يتربصون بالقوافل التجارية.
- عدم خضوع الصحراء الجزائرية لسلطة مركزية مثل ما هو الحال في الشمال في هذه الفترة من الحكم العثماني، وخضوع تلك المناطق لحكم محلي بمجال ضيق.
- التطرق إلى وسائل النقل التي كانت مستعملة في الصحراء وهي الرواحل من الإبل حيث أنها المناسبة للحرارة الشديدة والمسالك الوعرة مثل العروق الرملية، رغم أن أصحابها يتركونها للراحة ويستبدلون غيرها إذا ماتت.
- تركيز المؤلف على الموارد المائية والآبار والاعتماد على الدليل الذي يوصلهم إليها لأن أي خطأ في الطريق قد يودي إلى الضياع في الصحراء والموت المحقق.
- تطرق ابن مليح للحواضر والمداشر والقرى بالوصف الدقيق، وذلك ما لمسناه خلال الرحلة.
- تعلق المغاربة بركن الحج الذي فرضه الله على المستطيعين من عباده، فتراهم تنقلون شعثا غبرا ويتحملون المسافات والمراحل طمعا في المغفرة والثواب.
- قدم القيسي نموذجا عن أدب الرحلة في هذه المرحلة من القرن 11هـ/17م، وذلك في صورة

شاملة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأقاليم التي سلكها.

ولعل هذا ما أعطى قيمة أدبية وعلمية لرحلة ابن مليح القيسي التي تعتبر مادة علمية خام للعديد من المواضيع التاريخية نظرا لثرائها بالمعلومات القيمة والكثيرة، التي تطرق إليها المؤلف في وصفه لطرق الحج الصحراوي.

الهوامش:

[1]- سورة الحج: الآية 27.

[2]- مفردها **الرِحلة**: اسم للارتحال وللمسير، ويقال رحل فلان وارتحل وترحل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت دار صادر، د ت، ج 11، ص279.

[3]- عواطف بنت محمد يوسف النواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2008، ص 19.

[4]- عواطف بنت محمد يوسف النواب، كتب الرحلات في المغرب...، مرجع سابق، ص 20.

[5]- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002، ط2، ص 22.

[6]- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996، ص ص 77-78.

[7]- مصطفى الغاشي، الرحلة المغربية والشرق العثماني- محاولة في بناء الصورة، بيروت، الانتشار العربي، 2015، ط1، ص148.

[8]- نفسه، ص 149.

[9]- العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1993، ط2، ج1، ص309.

[10]- عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة، مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2005، ج1، ص177.

[11]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1998، ط1، ج2، ص ص 53- 54.

[12]- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ط1، ج1، ص448

[13]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلادي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص303.

[14]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص62.

[15]- العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام، مرجع سابق، ج5، ص 259.

[16]- عبد الهادي التازي، مرجع سابق، ص 197.

[17] - نفسه، ص 200.

[18]- السملالي، مصدر سابق، ص259.

[19]-أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنيس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/ 1630-1633م، تح : محمد الفاسي، فاس، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1968، ص ب.

[20]- نفسه، ص ج.

[21]- نفسه، ص ب.

[22]- مصطفى الغاشي، مرجع سابق، ص154.

[23]- القيسي، مصدر سابق، ص 13.

[24]- نفسه، ص ط.

[25]- سورة آل عمران: الآية97.

[26]- القيسي، مصدر سابق، ص ط.

[27]- نفسه، ص ل.

[28]- نفسه ، ص 2.

[29]- تقع مراكش في سفح الأطلس الكبير على بعد أربع كيلومترات من الضفة اليسرى لوادي تانسيفت. (أنظر: الصديق بن العربي، المغرب دليل جغرافي، مراكش، منتدى ابن تاشفين، 2016، ط2، ص 119.)

[30]- القيسي، مصدر سابق، ص 2.

[31]- هي مدينة قديمة اندثرت ولم يبق منها إلا الاسم، تقع على بعد 30كم جنوب مراكش، وقد كنت مقابلة لمدينة "أغمات هيلانة" وبينهما 8 أميال اتخذت عاصمة للأدارسة، كما نستقر بها المرابطين قبل بناء مراكش وكانت رباطا للنساك والزهاد. (أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص ص 46 - 47).

[32]- القيسي، مصدر سابق، ص ص 13- 24.

[33]- هي في الأصل مجموعة من القرى والقصور والمداشر تبلغ نحو عشرين، تبعد عن مراكش بـ200 كمجنوبا عبر الأطلس الكبير، في موقع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير وعلى مقربة من واحات درعة حيث

ويقطنها عدد كبير من أهل درعة. (أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص 163).

[34]- يطلق هذا المصطلح على البلاد الواقعة قرب وادي درعة الذي يعد من أطول انهار المغرب، حيث تضم هذه المنطقة عدة قرى منها تامنوكالت، مزكيطة ولكتاوة وفزواطة وترناطة وتنزولين... (أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص 93).

[35]- واحة كبيرة تقع على الضفة اليمنى لوادي درعة تمتد على مسافة 30كم، وتضم نحو 20 قصر من القصور الصحراوية، وتبعد عن ورزازات ب 177كم.(أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص 102).

[36]- القيسي، مصدر سابق، ص26.

[37]- نفسه ، ص27.

[38]- مفردها **مرحلة:** وهي المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم.

[39]- يطلق هذا الاسم على الواحات الواقعة على ضفتي وادي زيزووادي غريس، وتبلغ مساحتها 12 ألف هكتار ويبلغ عدد النخيل بها 360 ألف نخلة وفي أقصى الاقليم مدينة سجل ماسة التاريخية. (أنظر: الصديق بن العربي، مرجع سابق، ص71).

[40]- القيسي، مصدر سابق، ص ص 27-28.

[41]- واحة تقع في بشار في سفح جبل تادموست على ارتفاع 350م يوجد بها موقع أثري للإنسان الأشولي المتطور.(أنظر: عاشور شرفي، معلمة الجزائر- القاموس الموسوعي-، الجزائر، دار القصبة، 2009، ص 436.

[42]- القيسي، مصدر سابق، ص 28.

[43]- يقع إقليم توات في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية يحده من الشمال العرق الغربي الكبير وواد مقيدن، ومن الجنوب صحراء تانزروفت وواد فاريت ومن الشرق العرق الشرقي الكبيرومن الغرب واد الساورة، وحيث شتمل الاقليم على عدد من الواحاتوالقصور.(أنظر: عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، الجزائر، دار النشر دحلب، 2007، ص24).

[44]- القيسي، مصدر سابق، ص 30.

[45]- نفسه، ص ص 31-32.

[46]- نفسه، ص ص 32-35.

[47]- رجح المحقق أن تكون كلمة محرفة عن **غرانق جمع غرنوق، وهو** طائر مائي أبيض طويل الساقين والعنق(أنظر: القيسي، مصدر سابق، ص 40).

[48]- القيسي، مصدر سابق، ص ص 37- 41.

[49]- نفسه، ص ص 41-70.

[50]- نفسه، ص ص 69-76.

[51]- نفسه، ص ص 76-121.

[52]- نفسه، ص ص 121-128.

[53]- نفسه، ص ص 129-133.

[54]- نفسه، ص ص 133-134.

[55]- نفسه، ص ص 133-142.

[56]- عيد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1994، ج6، ط 1، ص207.و

[57]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د ت، ط1، ج2، ص298.

[58]- محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجار، نوهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، باريس، 1988، ص 245

[59]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- القسم الثاني-، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1955، ص 78.

[60]- محمد الصغير، مصدر سابق، ص 245.

[61]- القيسي، مصدر سابق، ص 28.

[62]- نفسه، ص 103.

[63]- **الخروبة:** تعني وزن أربعة حبوب قمحا من التبر.(أنظر: القيسي، مصدر سابق، ص 33.)

[64]- القيسي، مصدر سابق، ص 33.

[65]- نيكولا إيتش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001، ط2، 63.

[66]- نفسه، ص ص 65-66.

[67]- نفسه، ص ص 64-65.

[68]- سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية 1517-1798، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص80.

[69]- القيسي، مصدر سابق، ص ص 68-69.

[70]- هذا النظام كان معمولا به من قبل، حيث كان يتولى الإمارة أحد الأشراف بمكة وكان بشريف مكة، وقد حكمت مكة من أشراف "**آل بركات**" طوال القرنين 10-11هـ/ 16-17م. (أنظر: نورة بنت معجب بن سعيد الحامد، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز 1840-1908، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2005، ص 66).

[71]- نورة بنت معجب بن سعد الحامد، مرجع سابق، ص ص 62-63.

[72]- للمزيد حول الموضوع أنظر: حياة محمد حمد البسام، **<u>الإمام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن990-1054هـ</u>** ، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى 1984-1985، ص ص 64-120.

[73]- سميرة فهمي علي عمر، مرجع سابق، ص 79.

[74]- القيسي، مصدر سابق، ص 88.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. أبي عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنيس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040-1042هـ/ 1630-1633م، تح : محمد الفاسي، فاس، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1968.

3. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- القسم الثاني-، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1955.

4. بروشين ، نيكولا إيتش ، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، تر: عماد حاتم، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001، ط2.
5. ابن منظور، لسان العرب، بيروت دار صادر، د ت، ج 11.
6. بن العربي، الصديق ، المغرب دليل جغرافي، مراكش، منتدى ابن تاشفين، 2016، ط2.
7. هلال، عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلادي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
8. حركات، إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د ت، ط1، ج2.
9. كروم، عبد الله ، الرحلات بإقليم توات، الجزائر، دار النشر دحلب، 2007، ص24).
10. النجار، محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني ، نوهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، باريس، 1988.
11. النواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996.
12. النواب، عواطف محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2008.
13. قنديل، فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002، ط2.
14. شرفي، عاشور ، معلمة الجزائر- القاموس الموسوعي-، الجزائر، دار القصبة، 2009.
15. الغاشي، مصطفى ، الرحلة المغربية والشرق العثماني- محاولة في بناء الصورة، بيروت، الانتشار العربي، 2015، ط1.
16. السملالي، العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح: عبد الوهاب منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1993، ط2، ج1.
17. سعد الله، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1998، ط1، ج2.
18. عمر، سميرة فهمي علي ، إمارة الحج في مصر العثمانية 1517-1798، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.
19. التازي، عبد الهادي ، رحلة الرحلات: مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة، مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2005، ج1.
20. مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ط1، ج1.
21. الغنيمي، عيد الفتاح مقلد ، موسوعة تاريخ المغرب العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1994، ج6، ط 1.
22. الحامد، نورة بنت معجب بن سعيد ، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز 1840-1908، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 2005.
23. البسام، حياة محمد حمد ، **الإمام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن990-1054هـ** ، (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى 1984-1985.